رياض خليل

فاصلة الشاهدة والقبر

١ ـ «محضر أقوال الضحية»

.. مرةً..
زُرْتُ قبري
وتفحصتُ شاهدتي،
فغضبتْ!
ليس يوجد حرفٌ..
ولا رقم..
أو علامه!؟
صار رأسي خليّةَ أسئلةٍ.
ثم قررتُ أن أدخل الشاهده.
فتقرَّيتُها..
ليس يوجد بابٌ..
ونافذةٌ..
كوةٌ،
أتسلّل منها.
فتفحصتُها..
صار رأسي خلية أجوبه.
واهتديتُ إلى السّر.
واصطدتُ من صمتها خبراً،
فتناهضتُ،
أنفض عجزي،
ألملم ذاكرتي،
وأقود خيالي،
واقتفيت طريقاً..
إلى داخل الشاهده.
فتمكنت منه:
صار حصاني،
اعتليت،
وأوصلني،
وترجلتُ.
ثم دخلتُ إلى جسدِ الشاهده.
كان ثمةَ صمتٌ يصيحُ..
ويبكي.
كان ثمةَ عتمٌ يضيءُ..
ينبئ عمّنْ..
وعمّا..
ويؤكّد موتي الذي مايزالْ..
يثير الخيالْ..
ويطرح ألف سؤالْ!؟
وتوغلتُ في صمتِ..
في ليلِ شاهدتي..
فسمعتُ،
رأيتُ،
قرأتُ،
اهتديتُ،
ففتحتُ إلى القبرِ بوابةً،
ودخلتُ
تخطيتُ فاصلة القبر والشاهدة،
وعبرتُ إلى جثتي..
وعظامي..
توغلتُ حتى عرفتُ،
اكتشفت من الموت بوابة للحياةْ.
خطواتي تسابقني..
والطريق..
وقبري
وشاهدتي

٢ ـ «الشاهد الأول»

قالت الشاهدة:
كنت ذاكرةً..
نزع المجرمون ملامحها..
سرقوها،
وفماً ردموه،
ولساناً إلى الحلق قد ربطوه.
فهلمَّ إليَّ،
وفُكَّ وثاقي،
وحلَّ لساني..
وأَطلقْ ذراعي..
أنا مازلت تاريخَ وجهكَ..
مازلت أهمل في جسدي
صوراً..
وأجنّه..
وأدله..

وأصابع تقلع عينَ لُصوصَ المقابرِ..
والموتِ..
تعرف نخاسةَ الجثث الهاربه
أنا مازلت أحمل في جسدي..
بصمةً..
ووثيقةْ..
فهلمَّ إليَّ،
وخذني إليك،
وسوف أسرّ الحقيقةَ..
عمن تعاطى،
وعمن تواطأ..
عن كل ما كان..
حتى الذي سيكون.

٣ ـ «الشاهد الثاني»

وحدثني القبر قال:
مثلما للعصافير أعشاشها
للوحوم وكرّ..
وجُحْرٌ..
للطفولة حُجْرٌ..
أنا كهف جثتك النائمه.
وأنا آلبيتُ..
والقصرُ..
مأواكَ حتى الحياةْ
وأنا كاتم السِرّ..
حارس موتكَ..
حامل جثتك الشاعره.
وأنا.. وطن الميتين..
ومستودع الغائبين
أنا.. رَحِمٌ..
مستقرٌ..
ومنطلقٌ..
وأنا همزة الوصل..
والفصل
هيّا إليّ..
فأَمْنَحْكَ مِمّا لديَّ.
إليَّ..
أُبارِكْ خطاك،
فتمضي..
وفي يدك النصر..
تعقده راية للمقابر والميتين
وبشرى الأجنّة
وحي الولاده

٤ ـ «الشاهد الثالث»

.. جثتي حدثتني عن الاغتراب
الذي كان بين حياتي وموتي.
عن العيش موتاً..
عن الموت عيشاً..
عن الفرق بينهما..
وعن الصوت والحنْجره
وعن الصمت والمقبره،
وعن السفر المتواصلِ،
بين الفواصلِ
عنها..
وعني..
عن قتيلٍ..
وقاتلهِ.
ثم تنبئني..
وتقصُّ:
الجريمة في وضح الشمس تسرح،
والمجرمونْ.
والضحية في السجن منسيةٌ.
وتقصُّ:
الجريمة قائمةٌ،
والعدو،
وموتى بلا جدثٍ،
وبقايا أناس بلا شاهده.
وتحدثني:
عن حواجز ما بيننا،
عن نهارٍ يلوثه الليل،
تدعو:
هلمّ إليّ..
وخذني إليك لنحيا.
أنتَ ميْتٌ،
فما الفرق ما بيننا؟
فتعال..
نعشْ
ثم ننحت تاريخنا
بين فاصلة القبر والشاهدة

٥ ـ «قرار ديمقراطي»

أخرسوا نار صوت المقابرْ،
واردموا بالرصاص الحناجرْ.
أحرقوا وردة الشاهدة،
واشنقوا الحلم في جثث الميتين

٦ ـ «قرار الضحية»

سوف أخرج من غابة الإنس..
من بطن مفترسٍ..
رافعاً رايتي بالبراءه
ووراءي جيوشُ المقابرِ..
والجثثُ الغاضبه،
والشواهدُ،
كي نوقف الموت في الموت
كي نطلق القبر والشاهده

دمشق